دور الدولة والمجتمع في مواجهة وباء الجذام في المغرب والأندلس في عصري المرابطين والموحدين

د / أحمد صالح محمد عبد الغني

مدرس التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية . كلية الآداب

جامعة حلوان

لا يخلو عصر من العصور التاريخية من ظهور الأوبئة والكوارث، ونظرًا لكونها لا تخص أمة دون غيرها، فإن المجتمع المرابطي والموحدي عان هو الأخر ويلات تلك الأوبئة والمجاعات والكوارث، وحتى يتسنى لنا الإلمام بها، فإن ذلك يستوجب العودة إلى المصادر المختلفة تاريخية كانت أو جغرافية، أو كتب المناقب والسير، وكتب النوازل وغيرها، وهذا لتناثر المعلومات بين ثنايا تلك المصادر وبتجميعها يمكننا إماطة اللثام بما ألم بمجتمعي المرابطين والموحدين .

وقد تنوعت الأمراض المنتشرة خلال حقبتي المرابطين والموحدين سواء في المغرب أو الأندلس، ومن خلال المصادر الجغرافية يمكننا رصد بعض الأمراض المنتشرة في تلك الحقبة، ولو أنها مقتضبة ومتناثرة إلا أنها تُعد إشارات هامة . فالبكري . المعاصر للمرحلة الأولى من عهد الدولة المرابطية . أشار إلى بعض الأمراض كداء الحميات والطحال الذي أنتشر بين سكان مدينة أودغست (1) بشكل مثير، حتى لا تكاد يخلو أحد منهم من إحدى العلتين(2). في حين يشير(الإدريسي) إلى شيوع أمراض العيون بين أهالي سجلماسة (3)، حتى أنه قلما يوجد من أهلها صحيح العينين، بل أكثرهم عمش(4). هذا ناهيك عن مرض الجذام (موضوع الدراسة) الذي ساد بعض المدن المغربية والأندلسية على السواء كمدينة فاس (5)، مراكش (6)، وسجلماسة (7)، في الأندلس مدينة مرسية (8) ، وهو ما يفهم من النازلة التي أوردها (ابن رشد) حول رجل مجذوم (9).

ولكي نلقي الضوء على هذا الموضوع لابد من أن نوضح أولاً تعريف وباء الجذام في اللغة والاصطلاح ، وأسباب مرض الجذام وعوامل انتشاره في المجتمع المغربي والأندلسي خلال فترة الدراسة ، واعرض الجذام ، والآثار الاجتماعية والنفسية لمرض الجذام .

وأخيرًا دور الدولة والمجتمع في مواجهة الجذام ، من حيث الإجراءات الرسمية التي اتخذتها الدولة في مواجهة الجذام والحد من انتشاره ، وكذلك دور فئات المجتمع المغربي والأندلسي في مواجهة الجذام كالأطباء وأغنياء المسلمون .

تعريف وباء الجذام :

يعرف الوباء في اللغة بأنه كل مرض عام ، ويمد ويقصر، والجمع أوباء ، والجمع الممدود الأوبئة، وقد وبئت الأرض توبأ وبأ، ووبوأت وباء ووباءة(10) .

أم مفهوم الوباء في الاصطلاح الطبي، فإن كل المصنفات الطبية الإسلامية في العصور الوسطى لا تكاد تخلو من تعريف الوباء ، فيذكر (ابن زهر) أن الناس قد اعتادوا على اطلاق اسم الوباء " على الأمراض التي تصيب أهل بلد من البلدان وتشمل أكثرهم ، وخاصة أن الناس جميعهم يشتركون في استعمال الهواء الذي يستنشقونه، ولهذا إذا الهواء فاسدًا عم المرض أهل ذلك الموضع أو عم أكثرهم (11).

ويعرف (ابن خاتمة) " انه مرض عام للناس قتال غالبًا عن سبب كشترك" (12) . ويعرفه (ابن الخطيب) مع ذكر أعراضه قائلاً : " هو مرض حاد حار السبب سُمي المادة يتصل بالروح بدءً بواسطة الهواء، ويسري في العروق فيفسد الدم ويحيل، رطوبات إلى السُمية ويتبعه الحمى ونفث الدم، أو يظهر عنه خراج من جنس الطواعين " (13) .

ولفظ الموتان عند (ابن خلدون) والذي يعنى الوباء أيضًا فإن معناه الاصطلاحي شمولية الموت من هذا المرض المفاجئ في الإنسان والماشية، وباقي الحيوانات الأخرى على حد سواء(14) . واصطلح على الأوبئة أيضًا بالأمراض الوافدة لأنها قادمة على الناس من بُعد مع الهواء ليست من جهة مطعوم ولا مشروب ولا عرض نفسني وشبه ذلك ، أو لكونها أيضًا أمراض عامة تشمل وفدًا كبيرًا من الناس(15) .

ومن الملاحظ أن هناك خلط بين الوباء والطاعون عند بعض اللغويين والإخباريين أيضًا ، فالمصادر التاريخية استعملت مصطلح الوباء والطاعون دون أن تفرق بينهما، مما يصعب علينا معرفة نوع المرض الوبائي لأي فترة زمنية فيها ، في حين كان مفهوم الوباء في الاصطلاح العلمي أشمل وأعم من مرض الطاعون، فكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعونًا ، أي أن الوباء قد يشمل أمراضًا عديدة متشابهة من حيث الهلاك ، وتكون في الغالب معدية ، غير أنها تختلف من حيث أعراضها منها الطاعون والجذام . موضوع الدراسة . .

الجذام : يسمى الجذام بهذا الاسم من الجذم وهو القطع ، وسمى بذلك لأنه يقطع الأعضاء أو النسل أو العمر (16) ، ويعرف بداء الأسد لجعله سحنة الإنسان كسحنة الأسد (17) . وتتفق المصنفات المذكورة على أن مرض الجذام يأتي من حيث الخطورة بعد الطاعون ، وهو إن لم يكن يقتل بنفس السرعة التي يقتل بها الطاعون ، فإن النتائج الاجتماعية والنفسية المترتبة عنه تجعله مرضًا خبيثًا بامتياز، والراجح أن يكون الطبيب (ابن زهر) معبر عن رأى عامة الناس في هذا المرض، حينما نعته بالعلة الكبرى (18) ، وهو مرض معدي برائحته وموروث (19). إذا استحكم من المريض استحال علاجه، وإن لم يتمكن فإن علاجه ممكن (20) على ما سنذكره تفصيلاً . ولم يشمل هذا المرض عامة الناس فقط ، وإنما مس شرائح مهمة من المجتمع من علماء وصالحون .

أما عن أعراض مرض الجذام :

يمر مريض الجذام بمرحلتين خلال مرضه، تبدأ المرحلة الأولى بتقدم قوابي الجسم ، والحمرة المظلمة ، ودورة بياض العين ، واستدارة الحدقة ، والبحبوحة . وعندما يشتد المرض تبدأ المرحلة الثانية بتورم الأنف وتأكله ، وانقطاع الصوت ، ونتانة رائحة البدن ، وتقرح وتورم البدن ، حتى تسقط منه بعض الأطراف ؛ كما حدث للوالي أبي يعقوب يوسف بن علي المبتلى الذي سقط بعض جسده دون أن يبالي بالألم المترتب عن ذلك (21). ويسقط الشعر بسبب كثرة الرطوبة ، وتشقق الأظافر (22) ، وإن تجلط الدم وطف فوق الماء فقد بلغ المريض غايته ، وإن رسب ففيه مجال (23) .

أسباب مرض الجذام :

يذكر (الأنطاكي) في صدر كتابه (بغية المحتاج) كلامًا جامعًا عن مسببات الأمراض قائلاً : " وأعلم أن كل مرض يحدث في بدن الإنسان يكون عن فساد المزاج ، وفساده بفساد أحد الأخلاط، وفسادها يكون من جهة التخليط في المأكولات ، وعدم تدبير الهواء والمساكن والفصول ، والنوم واليقظة والاحتباس والاستفراغ، فإذا أحكمت هذه فلا فساد إلا بمشيئة الله تعالي " (24) . يتضح مما ذكره الأنطاكي أن هناك عدة مسببات للأوبئة بصفة عامة ومنها الجذام هي :

أولاً : فساد الهواء والماء :

عُد فساد الهواء في نظر أغلب الأطباء العامل الرئيسي المسئول عن حدوث الأوبئة بشكل عام، ومنها الجذام نظرًا لأن الناس يشتركون جميعهم في استنشاقه، وعليه فإن فساده يعنى هلاكهم بالجملة (25) . وتحول الهواء وإحالته إلى الفساد سواء في الكيف أو في جوهره، ففساده في الكيف يكون بفساد كيفياته العرضية دون فساد الجوهر، أو تنقص على مقدارها الطبيعي، أما تغيره في الجوهر فيكون بفساد فصوله الجوهرية، وتعفنه وخروجه عن الطبيعة (26).

وفساد الهواء بسبب جملة من العوامل وهي :

1. الرطوبة والحرارة الزائدتين وكثرة التعفن

2. مخالطة الهواء لأبخرة حارة يابسة متعفنة ، كتلك التي تخرج من مطامير الطعام التي يطول اختزانها، أو الهواء المتصاعد من الآبار التي يموت فيها الحيوانات (27) ، ويتغير الهواء ويفسد إن خالط أبخرة وروائح أجساد الموتى المتعفنة ، خصوصًا إذا ما كان الهواء راكدًا ، لذلك كان القدماء يجتنبون مجاورة المقابر خوفًا من روائح الموتى المتصاعدة منها . كذلك مخالطة الهواء للسباخ والبطائح المتغيرة المياه والخنادق وأبخرة مناقع الكتان ، وأبخرة مواضع السروب وأكوام الأزبال (28) .

وعن فساد الهواء والأسباب المؤدية إلى وباء الجذام وانتشاره ثمة إشارة أوردها (البكري) التي تدل على انعدام شروط الصحة في بعض المدن المغربية خصوصًا مدينة سجلماسة ، فذكر عن مدينة سجلماسة " أكثر مجذوميها من الكنافين "(29) . ويفهم من ذلك أن المتعاملين مع الأزبال من الكنافين كانوا أكثر عرضه لمرض الجذام بسبب استنشاقهم للهواء الفاسد الملوث الناتج عن مخالطة الأزبال والقمامة .

وذكر (ابن صاحب الصلاة) أن مدينة مراكش في عام (564هـ / 1168م) تلوث هوائها بميكروب سبب المرض لكثير من سكان مراكش دون أن يحدد ما نوع المرض والوباء الذي أصابها (30) .ووصف مرسى الخرز بأنها " فاسدة الهواء يمتاز أهلها عن غيرهم بصفرة ألوانهم " (31)، ومن المناطق التي اشتهرت بهوائها الفاسد أيضًا نجد (تنس) التي قال عنها القزويني " هواءها وبي وماءها ردي " (32) " ومن يدخلها لا يسلم من المرض ، وكثيراً ما يموت بها الغرباء" (33) .

ولم يكن الهواء الفاسد العامل الرئيسي فقط المسبب في حدوث الجذام ، وإنما تتسبب المياه الفاسدة أيضاً في حدوث العديد من الأوبئة والحميات الدقيقة والأورام الخبيثة والجرب ،وكذلك

الحصى في الكلى والمثانة؛ خاصة المياه الراكدة والمتغيرة حتى النتانة والمختلطة بالأقذار (34).

وكذلك شرب المياه في بعض الأواني يكون في بعض الأحيان . في نظر ابن زهر . أحد مسببات الجذام؛ وهو الشرب في أنية النحاس ومداومة عليها (35) .

ثانيًا : فساد الطعام :

أكد (ابن خاتمة) على أهمية سلامة الغذاء ، وكذلك على دور العادات الغذائية المسببة للجذام ، ومنها أكل الأغذية العفنة (36) ، والمداومة على بعض أنواع الطعام كالسمك والسمن والفول (37) ، وكذلك إدمان أكل ما غلظ من الأغذية كلحم البقر والتمر والباذنجان والثوم والخردل والعدس (38).

كما أضاف (البرزلي) أن أكل الحيوانات التي تتغذى على ذات السموم (39) يصيب الإنسان بالجذام ، وقد مارست بعض القبائل البربرية في بلاد المغرب بعض العادات الغذائية الضارة التي تسبب الجذام ؛ فكانت مدن قسطيلة (40) ونفطة (41) ، وكذلك سجلماسة تسمن الكلاب وتأكلها وتبيعها في أسواقهم(42) . كما أكل أهل سجلماسة لحم حيوان يسمى (الحرذون) ، وكان لحم الحرذون أكثر ما تأكله نساء سجلماسة لأنه يسمن ويخصب البدن؛ لذا فنساء هذه المدينة هن في غاية السمن وكثرة اللحم (43) .

أما صحراء نيسر فاستعملوا الحيات (الأفاعي) في طعامهم ، إذا كانوا يأكلون الحيات الطويلة غليظة الجسم ، فبعد اصطيادها يقومون بقطع رأسها ويضعونها في قدور ويضعون عليها الماء والملح والشيح ، وبعد إتمام عملية الطبخ يقومون بأكلها وهي أطيب أنواع الأطعمة لديهم (44).

ثالثًا : اضطراب المناخ وتغير فصول السنة :

لم تقتصر الآثار السلبية للتغيرات المناخية على حدوث المجاعات والفيضانات والكوارث فقط ، وإنما تسببت أيضًا في حدوث أوبئة فتاكة هددت حياة الإنسان في العصور الوسطى . وجعلته دائمًا عرضه لهذه الأمراض المفاجئة .

في بعض الأحيان يتسبب اضطراب فصول السنة وتبدلها في ظهور الأمراض الوبائية ومنها الجذام، كأن يكون فصل الربيع بارد ، والخريف يكون بطبيعة الربيع ، والشتاء على طبيعة

الصيف(45) . كما أن هبوب الرياح الشمالية وسقوط الأمطار الغزيرة في فصل الصيف يفسد الهواء ويعفنه، فتحدث بذلك الأمراض الوبائية (46) .

رابعًا : المجاعات وغلاء الأسعار :

تحدث الأوبئة نتيجة المجاعات وغلاء الأسعار، ففي أوقات المجاعات تفرض على الناس نمطاً غذائيًا جديدًا في أغلبه غير خاضع لشروط الصحة ، ويكون همهم الوحيد هو أن يسدوا رمقهم من الجوع ، فيقتصر غذائهم آنذاك على أكل أي حبوب حتى المتعفنة والفاسدة من طول الاختزان، وأكلهم اللحوم الرديئة كلحم الجيف ولحوم مختلف الحيوانات (47) .

خامسًا : أسباب فلكية :

هناك من يرجع أسباب الأمراض والأوبئة على اختلافها إلى أمور فلكية كاجتماع الكواكب واتصالها مع بعضها البعض ، فاجتماع المريخ وزحل في البروج النارية ، يحدث أمراضًا وأوبئة على رأي ابن الخطيب فيقول : " سبب الأوبئة ، هو الأمور الفلكية من القرانات التي تؤثر في العالم حسب ما يزعمه أرباب صناعة النجوم ، ويأخذه سبب مسلمًا عنهم " (48) .

. طرق نقل العدوى بالجذام :

ينتقل الجذام سريعًا من المرضى للأصحاء عن طريق الرائحة سواء رائحة المريض أو رائحة ملابسه وفرشه الذي تقلب فيه زمن مرضه ، فأهل سوق الخلق بمدينة المرية الذين يبيعون ويشترون ملابس الموتى وفرشهم مات أكثرهم ، ولم يسلم منهم إلا القليل بسبب بيع ملابس وفرش مرض الجذام(49) دون الحذر من العدوى .

. الآثار الاجتماعية والنفسية لوباء الجذام :

لا ريب أن وباء الجذام يخلق في المجتمع واقعًا حياتيًا صعبًا ، فبالإضافة إلى تدهور الوضع الصحي للمريض فإن مثل هذه الأزمات تؤدي أحيانًا إلى زعزعة العلاقات الاجتماعية والتفكك الأسري ، وخلق شرخ كبير داخل المجتمع .

فمن هذه الآثار السلبية لوباء الجذام التفكك الأسري بين الزوجين ، ففي حالة ما إذا مرض أحد الطرفين بالجذام ، فلم يطق الطرف الأخر عشرته فيطلب الطلاق ، فقد ذكر (المازوني) في فتوة سُئل عنها سعيد العقباني ثم أبو الفضل العقباني ، حول رجل تزوج امرأة فظهر به الجذام بعد بنائه بها بحوالي ثمانية أعوام ، هل يحق لها هجره أو لا ؟ ! ونظرًا لخطورة هذا المرض ،وصعوبة تحمل رائحته ، فقد أفتى الفقهاء في هذه الحالة بأن يفرق بين الزوجين ،

وخاصة إذا كان الجذام متفاحشًا به ، أما إذا لم يكن كذلك فلا توجد ضرورة للتفريق بينهما . (50)

كذلك يخلق مرض الجذام حالة من الرهبة والاشمئزاز في المجتمع من هؤلاء المرضى ، فكان الناس يشمئزون منهم خصوصًا العامة من الناس، الذين كانوا يستغلون أوقات الاضطرابات والفتن . وما يصاحب ذلك من فوضى نتيجة غياب السلطة للانتقام من المجذومين ، وطردهم بعيدًا عن التجمعات البشرية، ويستشف ذلك من خلال رواية (ابن أبي زرع) التي يشير فيها إلى انتقال جذمى فاس أيام المجاعة والفتنة الممتدة من (619. 637هـ / 1222. 1239م) للسكنى بالكهوف في الواقعة خارج باب الخوجة (51) . وكذلك عبر عن هذا الرحالة (عبد الباسط) في رواية تبين أن الناس داخل المجتمع يتحاشون مرضى الجذام بسبب العدوى ، فتدور هذه الرواية حول بعض التجار التلمسانيين القادمين من فاس ، وقد تنكروا وأنهم مرضى جذام خوفًا من سطوة اللصوص الأعراب القاطنين بصحراء مدينة تلمسان ، وبالفعل لم يقربهم هؤلاء اللصوص لخوفهم من أن يتأذوا بهذا المرض (52).

كما أن الناس كانوا يشمئزون من ثوب الميت بوباء الجذام ؛ لهذا اعتبره الفقهاء من عيوب السلعة، وقد اعتبرها أيضًا أن الرقيق المصاب بمرض الجذام من العيوب التي يستوجب فيها رد الرقيق للبائع (53) .

ومن الآثار السلبية لمرض الجذام أيضًا الحرمان من الوظيفة ، فقد سئل (ابن رشد) عن إمام مسجد بمدينة (مرسية) بأرض الأندلس أصيب بداء الجذام (عافانا الله منه)، فكره الناس إمامته، وذهبوا إلى تأخيره عن الإمامة ، واستبداله بإمام أخر مكانه، وذلك بعد مدة له في الإمامة، وهل يعرض على الأطباء في حالة ادعائه أنه غير مصاب بالجذام ؟؟ . فأجاب (ابن رشد) بجواز إمامته إن كان في بداية المرض، إما إذا تمالك منه المرض، فينبغي له أن يتأخر عن الإمامة بهم ، فإن أبي رفع أمره إلى حاكم مرسية ويمنع من الإمامة، لأن المنع من أذية المسلمين واجب لقول عمر بن الخطاب للمرأة المجذومة التي رآها تطوف مع الناس ، " يا أمة الله لا تؤذي الناس ، لو جلست في بيتك لكان خيرًا لك " (54) ، وقد قال رسول الله (صل الله عليه وسلم) في حلول المريض على المصح " إنه أذى " (55).

دور الدولة والمجتمع في واجهة وباء الجذام :

أولًا : دور الدولة في مواجهة وباء الجذام :

شهدت بلاد المغرب والأندلس في عصري المرابطين والموحدين طفرة علمية في مجال الطب،وكانت هذه النهضة امتدادًا للنهضة الفكرية التي ظهرت في عصر ملوك الطوائف ، وقد اتضحت هذه النهضة من خلال المؤسسات الطبية التي أنشئت في عصري المرابطين والموحدين ، والعدد الهائل من الأطباء الذين حظوا باهتمام كبير من الدولتين ، ووصل بعض الأطباء من منصب الوزارة أمثال الوزير الطبيب ابن باجة (56) ، والطبيب الوزير عبد الملك ابن زهر أحد أعمدة الطب في الأندلس في أواخر عهد المرابطين وبداية الموحدين (57).

وفي إطار اهتمام المرابطون والموحدون بالقطاع الطبي والشئون الصحية ، اتخذت الدولة عدة إجراءات في مواجهة وباء الجذام للحد من انتشاره ، والعمل على القضاء عليه ، تمثلت هذه الإجراءات فيما يلي :

أولاً: العزل الصحي (الحجر الصحي):

نظرً لخطورة وباء الجذام ، وسرعة انتشاره بين الناس ، واتقاء العدوى خصصت الدولة حارت للمصابين بالجذام خارج المدن . كانت بمثابة الحجر الصحي لمرض الجذام . وعرفت بـ (حارات الجذمى) . كما هو الحال في مدينة (فاس) كانت حارة مرضى الجذام تقع خارج باب الخوخة ، ليكون سكناهم تحت مجرى الريح الغربية ، فتحمل الريح أبخرتهم ورائحتهم ، ولا يحصل لأهل فاس منها شيء، وكذلك يحصلون على الماء الخارج من المدينة ، فيكون شربهم وغسلهم وتصريف مياههم خارج المدينة بالكامل (58) .

بما يعنى أن بناء هذه الحارات لم يكن أمرًا عشوائيًا أو فوضوياً ، ولكن بمنهج وخطة محكمة يحسب فيها الموقع واتجاه الريح ومصادر المياه وتصريفها اتقاء العدوى وشيوع المرض .

أما عن مدينة (مراكش) ، فإن حارة الجذمى وجدت شرقي المدينة (59) ، ويحتمل أيضًا أن يكون يعقوب المنصور الموحدي (60) قد شيد حارتين مماثلتين بكل من سلا (61) وقصر ابن عبد الكريم (62) القصر الكبير (63) .

أما في الأندلس فلا نعرف بدقة متى بدأت عملية عزل المريض، لكن النصوص التي بين أيدينا تشير إلى أن مدينة قرطبة أول المدن التي تخصص حارة للجذام (64) .

كما وجد أيضًا إشارة حول العزل المنزلي لمريض الجذام ، حيث أشار (المازوني) إلى قضية عزل إمام مسجد بمدينة مرسية أصيب بمرض الجذام عن الناس في داره ، حتى لا يتأذوا منه ، وذلك من خلال عرض لأراء الفقهاء الأوائل حول ذلك ، والأهم من ذلك أنه بين رأيه بضرورة عزله عن الناس داخل داره حتى يبرأ (65).

ثانيًا : إنشاء المؤسسات الطبية :

عملت السلطة في عصري المرابطين والموحدين على إقامة مؤسسات طبية لمداوة المرضى وعلاجهم على نفقة الدولة ، فوجد أصحاب مرض الجذام قدرًا لا يستهان به من الرعاية الطبية خصوصًا في عصر الموحدين . فقد شهدت بلاد المغرب والأندلس نهضة طبية في عصر الموحدين ، وقد تمثلت في بناء البيمارستانات (66) التي أقيمت في عصر الموحدين ؛ إذ لم يرد ذكر لمستشفيات أنشأت طول فترة حكم المرابطين(67) ، وكانت أول مستشفى هي تلك التي أنشأها المنصور الموحدي بمدينة مراكش (68) ، وكان المشفى بديع البناء ، وعلى مستوى عال من حيث الإمكانيات الطبية والأدوية والأطباء المهرة ، إذ يصفه المراكشي بقوله : " وبنى . أي المنصور الموحدي . بمدينة مراكش بيمارستان ما أظن في الدنيا مثله، وذلك أنه تخير ساحة فسيحة بأعدل موضع في البلد، وأمر البنائين بإتقانه على أحسن الوجوه، فأتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخاريف المحكمة ما زاد على الاقتراح ، وأمر أن يغرس فيه مع ذلك من جميع المشمومات والمأكولات، وأجرى فيه مياها كثيرة تدور على جميع البيوت زيادة على أربع برك في وسطه، إحداهما رخام أبيض، ثم أمر له من الفرش النفيسة من أنواع الصدف والكتان والحرير والأديم وغيره ما يزيد على الوصف ويأتي فوق النعت وأجرى له ثلاثين دينار في كل من الأدوية، وأقام فيه من الصيادلة لعمل الأنترية والأذهان والأكحال " (69) .

" وأعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم، من جهاز الصيف والشتاء، فإذا نقه المريض فإن كان فقيرًا أمر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يستقل، وغن كان غنيًا دفع له إليه ماله ، وترك وسببه، ولم يقتصر على الفقراء دون الأغنياء، بل كل مرض بمراكش من غريب حُمل إليه وعولج إلى أن يستريح أو يموت. وكان في كل جمعة بعد صلاته يركب ويدخله . يعود المرضى ويسأل عن أهل بيته ويقول : كيف حالكم؟ وكيف القومة عليكم ؟ إلى غير ذلك من السؤال ، ثم يخرج لم يزل مستمرًا على هذا إلى أن مات رحمه الله " (70) .

ومن اللافت للانتباه في وصف المراكشي أن البيمارستان المذكور بالإضافة إلى كونه مستشفى، كان أيضًا مختبرًا لصناعة الأدوية والمعاجين الطبية التي يحتاجها المرضى . وكانت الإقامة فيه مجانية، حيث كانت الدولة تتكفل بدواء المرضى وتغذيتهم وثيابهم ، والأكثر من هذا كله؛ أن المرضى الفقراء كانوا يمنحون عند مغادرتهم المستشفى مبلغًا من المال يستعينون به على مواجهة أعباء الحياة إلى حين انتهاء فترة النقاهة، واستعادتهم لصحتهم بالكامل .

هكذا فإن هذا البيمارستان أو دار الفرج كما أسماه صاحب الاستبصار(71) . ولم يكن بيمارستان مراكش هو البيمارستان الوحيد الذي بناه المنصور، بل شيد أيضًا بيمارستانين آخرين بكل من سلا وقصر ابن عبد الكريم (72) .

أما في الأندلس فقد أنشأ المنصور الموحدي قصر الفرج لعلاج المرضى في ضواحي مدينة إشبيلية، بناءً على نصيحة طبيبه الخاص أبي بكر بن زهر (73).

وقد استفاد مرضى الجذام من هذه النهضة الصحية في إقامة المستشفيات ، حيث أنشئت مستشفى خاصة لرعاية المجذومين حتى لا يختلطوا بالأصحاء (74) . خارج المدن في حي قائم بنفسه يطلق عليه اسم (ربض المرضى) (75) وكان هذا الإجراء كجزء من دور الدولة في مساعدة الفئات ذات الأمراض المعدية بتشييد أماكن خاصة لمنع مضاعفات العدوى.

دور المجتمع في مواجهة وباء الجذام :

يمكن تقسيم دور المجتمع في مجابهة الجذام إلى :

. موقف الأغنياء والطبقة العليا

. موقف العامة

. دور الأطباء

أولاً: موقف الأغنياء والطبقة العليا :

لعب أغنياء المسلمين وأبناء الطبقة العليا في بلاد المغرب والأندلس في عصري المرابطين والموحدين؛ دورًا هامًا أكثر عقلانية وإدراكا لدورهم في المجتمع، وفهماً لطبيعة وباء الجذام ، وكيفية المساهمة في تخفيف معاناة وآلام مرضى الجذام . وذلك من خلال الإنفاق على القائمين على حارات الجذمى وأماكن العزل الصحي ، أو الأوقاف والأحباس التي أوقفها الأغنياء على مرضى الجذام ، كما حرص الواقفون على دفع الصدقات على هؤلاء المرضى حتى يتمكنوا من مساعدتهم .

وقد أورد (الونشريسي) أن رجلاً من أهل غرناطة حبس غلة جنان على الجذامى ، وقال في نصر المحبس " وذلك لم يلحق أبدًا من عقب المحبس أو عقب عقبه " (76) . كما سئل (ابن رشد) فيمن حبس على ابنه وعلى عقبه وعقب عقبه ، فإن انقرضوا رجع الوقف إلى صاحبه أو إلى أقرب الناس إليه إن كان ميتًا، فإن انقرضوا ولم يكن للمحبس قرابة رجع إلى المرضى المجذومين والعميان بغرناطة سواء بينهم (77) .

وقد استفاد مرضى الجذام بجزء من الأحباس ببناء مستشفى خاصة للعناية بالمجذومين ورعايتهم حتى لا يختلطوا بالأصحاء فيتسببوا بالإضرار بهم (78) .

ثانيًا : موقف العامة من وباء الجذام :

تبان موقف العامة من وباء الجذام والمصابين به ، بين جماعات متطوعة ساهمت في مساعدة مرضى الجذام، والإشراف على رعايتهم داخل حارات الجذمى والمستشفيات التي أقيمت لهم، اعتمادًا على ما تتلقاه من أهل الخير أو الدولة أو ريع ما يوقف على مرضى الجذام من مال أو أرض أو عقار (79).

في حين أن غالبية العامة اتخذت موقفًا سلبيًا من مرضى الجذام ، ينم عن عدم فهم وإدراك لطبيعة المرض والمصابين به، فلم يكتفوا بالرهبة والاشمئزاز منهم، بل سعوا بين الحين والأخر للانتقام منهم، وطردهم بعيدًا في الصحراء اتقاءً للعدوى وخوفًا من الموت(80)، على ما ذكرنا . ونظرًا لاعتقاد غالبية العامة بأن سبب الأمراض إنما هو مس من الجن أو عقابًا إلهيًا، سلطة الله عليهم ليعاقبهم به، فإنهم رأوا في التقرب من الأولياء وطلب العلاج منهم الوسيلة الوحيدة والناجعة للتخلص من هذه الأمراض التي يعانون منها وخاصة الجذام . فذكر (ابن مرزوق) أن الناس كانوا يقصدون أبا عبد الله محمد بن أحمد بن النجار للاستشفاء والتبرك بحجر كان يجلس عليه بإزاء داره ، كما كان سليمان المدعو (اخدموم الشريف) يزوره المرضى فيشفون بإذن الله (81) .

وروي أيضًا أن امرأة من مراكش قصدت أبا العباس السبتي تشكو له مرض ابنها من الجذام، فاستطاع أبو العباس . إن صحت الرواية . أن يبرئه بقدرة القادر(82).

ثالثًا: دور الأطباء في مواجهة وباء الجذام :

حظي الطب والأطباء في بلاد المغرب والأندلس في عصري المرابطين والموحدين باحترام كبير من السلطتين المرابطية والموحدية ، وأولوا له عناية شديدة من خلال المستشفيات، وتشجيع الأطباء وترقيتهم (83) . فشهد الطب تقدمًا تشهد به أسماء الأعلام المتألقة في حضارة المغرب والأندلس وأشهرها عائلة بني زهر التي تعتبر من نبلاء الأندلس، الذين اشتهروا بالجاه والتقوى(84) ، وكذلك اشتهرت بنبوغ أفرادها في الفقه والسياسة والطب من القرن الخامس إلى القرن السابع الهجري ، فأنجبت أطباء تربعوا على عرش الطب في الغرب الإسلامي

(85)، خلال ستة أجيال متتابعة توارثت العلم الطبي في المغرب والأندلس ، كما وصلوا إلى أرفع مناصب الإدارية كمنصب الوزارة . وكانت هذه الأسرة نجومًا في سماء الطب وعلاج الأمراض في المغرب والأندلس (86).

يأتي على رأس هذه الأسرة أبو العلاء زهر بن عبد الملك (ت 525هـ / 1135م) ، إذ ورث عن أبيه تفوقه في الطب ، قال عنه ابن بسام " ومال إلى علم الأبدان فلولا جلالة قدرنا لقلنا جاذب هاروت طرفًا من سحره، ولولا الغلو آفة المديح لتجاوزت طلق الجموح "(87). وقد خلفه ولده أبو مروان عبد الملك بن أبي العلاء (ت 557هـ / 1162م) النابغة في الطب حتى ذاع ذكره في المغرب والأندلس، حتى لقب بشيخ الطب (88) ، وقد عمل طبيبًا لأمراء المرابطين ، وقد علا قدره أيضًا لدي الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي (537. 558هـ / 1143. 1162م) حيث كان طبيبة الخاص (89) ، وقد ترك لنا أبو مروان عدة مؤلفات طبيبة رائدة في مجال وصف الأمراض وعلاجها ، وفي التغذية وأمراضها ، على رأسها كتاب (التيسير في المداواة والتدبير) الذي كان له أعظم الأثر في تطور علم الطب في القرون الوسطى(90).

وتعاظم دور هذه الأسرة في النصف الثاني من القرن 6هـ / 12م ، حيث برز منهم أطباء عظام رجالاً ونساءً، كأبي بكر محمد بن عبد الملك بن زهر بأشبيلية (ت 577هـ / 1181م) الذي أخذ الطب عن أبيه ، وكما كان أديبًا بارعًا ، خدم الخليفة المنصور الموحدي الذي بنا قصر الفرج بضواحي إشبيلية (دار العلاج) بناءً على نصيحة أبي بكر (91) .

كما اشتهرت أم العلاء (ت بعد 580هـ / 1189م) ، وهي أخت الطبيب أبو بكر بن زهر، وابنتها (ت 595هـ / 1199م) بصناعة الطب، وخبرتهما الجيدة فيما يتعلق بمداواة النساء وتوليدهن، وحظيتا بمكانة ممتازة عند خلفاء الموحدين(92) .

تلك أمثلة قليلة على مدى ما حظي به الطب والأطباء من اهتمام وتقدير في الغرب الإسلامي خلال فترة الدراسة . مثل هذا التقدم الهائل للطب العصر الذهبي للأطباء في الغرب الإسلامي، وفتح الطريق لهؤلاء الأطباء المهرة المبدعون للقيام بأدوار هامة جداً في مواجهة وباء الجذام تمثلت في عدة إجراءات طبية لمواجهة هذه الجائحة وهي :

أولاً : الطب الوقائي :

يبدأ دور الأطباء في مواجهة وباء الجذام بالطب الوقائي كقاعدة لحفظ صحة الناس قبل وقوع المرض، وقد ضمها (ابن خاتمة الأندلسي) في المسألة الخامسة من كتابه، والتي تدعو إليها حاجة الإنسان في بقاء حياته في ستة أقسام يمكن تلخيصها في النقاط التالية :

أولاً : وضع الرياحين على فراش البيوت والمواظبة على استنشاق الهواء النقي، وتناول الليمون لأن لديه القدرة على مقاومة السموم، واستنشاق أزهار الورود والبنفسج يساعدوا على إمداد الجسم بالطاقة التي تساعده على مقاومة المرض(93) .

ثانيًا : عدم التنقل بين الأماكن، في حالة حدوث وباء في بلد ما حتى لا يبذل جهدًا ، ويضطر الإنسان إلى استنشاق كم أكبر من الهواء الملوث بالوباء، ويكون الإنسان عرضه لتلقي العدوى(94).

ثالثًا: بضرورة إتباع نظام غذائي يلاءم كل فصل من فصول السنة، ويكون موافقًا لأعمار الناس وأجناسهم(95)، وذلك تجنبًا للوقوع في أمراض مختلفة، والتي تكون أهم أسبابها جهل الناس بالثقافة الصحية .

ففصل الربيع مثلاً ، هو الفصل الذي تكثر فيه الأمراض ، رأى الأطباء فيه ضرورة الالتزام بالأغذية الخفيفة المعتدلة كالحنطة ولحم الجدي ولحم الماعز الصغير ولحم الدجاج والبيض، واجتناب أكل الأغذية الرطبة كاللبن والسمك وما هو مالح كالزيتون والسمك المملح،والالتزام بشم الروائح العطرة كالزعفران والعود والعنبر والمسك والمصطكي (96) .

رابعًا : ونصح (ابن خاتمة) بالابتعاد عن الأطعمة الثقيلة والغنية بالدهون كالعصايد والثرايد والأسفنج والكعك والمعجنات، والإقلاع عن اللحوم، وإن كان لابد فيجب طهيها جيدًا بخل الليمون، إضافة إلى تجنب الشبع بشكل مباشر(97).

خامسًا : تنظيم فترات النوم والاستيقاظ ، بحيث يقتصر نوم المرء على فترات الليل فحسب، وفي أماكن جيدة التهوية (98).

سادسًا: ضرورة التخلص من فضلات الجسم بتناول المشروبات ، وأيضًا بعمل الحجامة للتخلص من الدماء الفاسدة في الجسم ، والاهتمام بالنظافة العامة بالإكثار من الاستحمام(99).

سابعًا : أن يعيش المرء في بيئة مليئة بالمسرات، وأن يبتعد عن المشاعر السلبية، وذلك بالقراءة وخاصة كتب التاريخ والفكاهات والأشعر الغزلية منها (100).

ويختم (ابن خاتمة) هذا الباب قائلاً :" لا ينبغي للعبد أن يفرط فيما أنعم الله عليه من العلم والعمل الكفيلين بمصالح الدنيا والآخرة، ولا ينبغي للعبد أن يحل يده من التوكل طرفة عين، فلا يكون توكله على الله تعالي سبحانه إلا بعد استفراغ جهده في التحفظ والاحتراز، وهذه حقيقة العبودية " (101) .

كذلك نجد (ابن الخطيب) يوضح للقارئ الكيفية التي تنتشر من خلالها العدوى مفندًا الرأي الفقهي الذي يقول بأن العدوى من الله وأنها قدر قدره الله، فيقول : " فإن قيل كيف نسلم بدعوى العدوى وقد رد الشرع بنفي ذلك ، قلنا : لقد ثبت بالتجربة والاستقراء والحس والمشاهدة والأخبار الواردة، هذه هي مواد البرهان . ثم أن غير خفي على من نظر في الأمر أن المصاب بهذا المرض (المعدي) يهلك ، ويسلم من لا يخالطه، كذلك فإن المرض يقع في الدار أو المحلة من ثوب أو أنية ، فالقرط بأذنه والبيت بأسره ، ومن البيت ينتقل المرض إلى المباشرين ثم إلى جيرانهم وأقاربهم وزائرهم حتى يقع الخرق ، وأما فلم تسلم أيضًا إن جاءها المرض عبر البحر من طريق وافد من مدينة شاع عنها خبر الوباء " (102).

يتضح من نص (ابن الخطيب) وعي المجتمع العلمي الإسلامي بالمغرب والأندلس بوسائل نقل العدوى وأسباب انتشار المرض ، ومنها متعلقات المريض ، واختلاط المريض بغيره من الناس ، وانتقال المريض من مكان إلى أخر، ومن بلد إلى أخرى عن طريق السفن التي تأتي من بلد موبوء.

ثانيًا : العلاج بالأدوية :

كان العلاج يتم بطريقة تدريجية ابتداءً من الدواء المفرد، وهو ما يؤخذ من مصدره النباتي أو الحيواني أو المعدني دون خلطة مع دواء أخر(103) ، وفي حالة انعدام النفع أثناء العلاج بالأدوية المفردة ينتقل الطبيب إلى المعالجة بالأدوية المركبة ذلك للضرورة القصوى(104).

على هذا المنوال قدم كل طبيب من أطباء الأندلس علاجًا دوائيًا للجذام ، فذكر ابن زهر مركبين لعلاج الجذام هما :

المركب الأول : كميات مختلفة من (الطرفاء ، أدخر ، جعيدة ، بابونج ، اسارون ، فودنج نهري ، قنطريون دقيق) ، وينقع كل هذه المواد لمدة ليلة ، ثم يوضع وزنها عود السوس ، وعشرة أطال من الماء ، ويسخن على نار هادئة ، حتى يجف من الماء ثلثه ، ثم يصفى ويضاف إليه سبعة أرطال من السكر ، ويعاد للتسخين مرة أخرى ، ويأخذ منه مريض الجذام كل صباح سبع أوقات ، كل يوم (105) .

المركب الثاني : كميات مختلفة من (أغاريقون ، بسبايج ، حجر لازورد ، خربسق أسود ، ورق الحنظل ، فستق مدقوق) ، ويضع وزن هذه المواد كثيراء ، ويضاف إليه لب اللوز مطحون ، ويخلط الكل ويعجن بشراب قشر الأتراج وشراب السكنجبين ، ويأخذ من المجذوم وزن ستة دراهم بجرعات ماء فاتر (106) .

وقدم (ابن البيطار) علاج أخر للجذام عبارة عن نقع ورق الحناء في ماء عذب، ثم تعصر ويصفى ويشرب منه المجذوم أربع أوقات مع أوقية سكر عشرين يومًا ، وهذا مع ابتداء مرض الجذام . فإن تملك الجذام من المريض أخذ من هذا الدواء المركب أربعين يومًا ، ويتغذي على لحم الغرفان أثناء هذه الفترة ، وتدهن أورام الجذام بالسمن مع حرارة حتى تسكن الأوجاع(107) ، كذلك يمكن دهن أورام الجذام بدهن شجرة المصطكي (108) (المستكة)(109).

وللقضاء على أورام الجذام أوصى (ابن البيطار) بخلط الملح بالزيت والخل ويسخن للقضاء على أورام الجذام (110)، وكذلك ورق شجرة اللملم تنفع في القضاء على الجذام (111).

كذلك قدم (داود الأنطاكي) دواءً لعلاج الجذام ، يبدأ أولاً بالفصد (112) الباسليق من الأيمن ، ثم يعطى مطبوخ الأفتيمون ثلاث أيام ، ثم ماء الجبن ، ثم السقمونيا مع اللازورد يومًا ، ثم يفصد بالباسليق الشمال (113) .

كما قدم (داود الأنطاكي) دواءً أخر قال عنه أنه العلاج المجرب للجذام وهو شرب البسفايج ، والعسل كل يوم ، ومنقوع ورق الحنظل ، وبيض الرخم (114) .

ثالثًا : الأدوية السُمية والمعدنية :

ذكر (ابن زهر) أن من الأدوية علاج الجذام ؛ أن يأخذ المجذوم في فصل الشتاء كل ثمانية أيام شراب الأفعى بعد أن تقطع جيدًا ، وتسلق مرتين بماء مع شبت ، ويشرب المجذوم مرقها (115).

كما وصف (داود الأنطاكي) ترياق لعلاج الجذام مكون من الذهب واللؤلؤ واللازورد والزمرد والسقمونيا (116).

رابعًا : التداوي بالأغذية :

تُعد التغذية من الأساليب الطبية الراقية في المعالجة الوقائية من الأمراض، إذ تميز الأطباء المسلمون بميلهم في العلاجات إلى الأغذية الدوائية أكثر منه إلى الأدوية السمية ، إلا عند

الاضطرار (117) ، لأنها تحافظ على الحياة البيولوجية للفرد ، ومن ذلك عرفوا خواص الأغذية الضار منها والنافع .

وعد الغذاء العنصر الأساسي الذي يرد إلى البدن صحته . وينصح أبو الوليد بن رشد (ت595هـ / 1198م) باستخدام الأغذية الدوائية حيث كان الأطباء القدامى لا يعالجون إلا بالأغذية الدوائية (118) . وفي نفس المعنى ينصح الرازي بأن كل علة وبائية يجب أن يكون " قانون علاجك فيها الطيوب والأطياب " (119) .

ولا شك أن انتشار وباء الجذام قد ساهم في تطور الطب الوقائي عن طريق التغذية السليمة لمرضى الجذام ، وعليه وضع الأطباء في أزمة وباء الجذام حمية غذائية مضادة للداء (120). وتتمثل في أكل المجذوم الأغذية المعتدلة المائلة للبرودة والجافة كالعدس والفول والبقول والفواكه الباردة الجافة (121) .

ويفضل (ابن زهر) الخبر المحكم الصنعة ، كما ينصح بالإكثار من أكل خبز القمح جيد الاختمار ، المضاف إليه خل عندما يعجن (122) ، وينقع خبز القمح في مرق الدجاج والفراريج(123) .

أضاف ابن البيطار أن يأكل المجذوم الدجاج صغير السن المطبوخ بالزبد ، وشرب مرقها ، ووصف ابن البيطار الدجاج قائلاً : " لها من العمر اثنا عشر يومًا ، والتي لا تأكل إلا نبات القرطم الطبي "(124) . فيأكل منها مريض الجذام ، ويدهن من زيتها أطرافه ، تنفع نفعًا بليغًا (125) .

كذلك يأكل مريض الجذام الثوم والرومان المز (الذي يميل بين الحموضة والحلاوة) مفيد جدًا للأمراض عمومًا (126).

علاوة على ذلك يشرب مريض الجذام بعض الأشربة المفيدة وهي (شراب الطين الأرمينى ، شراب الزبيب ، شراب البنفسج (127) والورد ، شراب السنكجبين(128) ، وذلك لمدة عام كامل(129) .

الخاتمة :

يلاحظ من خلال هذه الدراسة ما يلي :

أولاً : أن وباء الجذام كان من أخطر الأوبئة التي تعرضت لها بلاد المغرب والأندلس خلال عصري المرابطين والموحدين، والتي هددت حياة الناس، وعده الأطباء في المرتبة الثانية بعد الطاعون من حيث خطورته على الإنسان ، وسرعة انتشاره في المدن والبلدان .

ثانيًا : حصر الأطباء مسببات الأوبئة جميعًا منها الجذام في فساد الهواء والمياه والغذاء .

ثالثًا : تفاوتت نظر المجتمع (المغربي والأندلسي) في نظرتها لوباء الجذام ومرضاه المجذومين، بين الفهم والإدراك والإحساس بالمسؤولية، وتقديم يد العون للتخفيف على عاتق المجذومين سواء بالمال أو التطوع في خدمة المجذومين . وبين الإنكار والخوف من المجذومين ، بل والاشمئزاز منهم ومحاولة الانتقام والتخلص منهم .

رابعًا : أن الدولة (المرابطية والموحدية) قامت بالأدوار المنوطة بها تجاه رعاياها من مرضى الجذام خاصةً الموحدين ، فقد كانت في أغلب الأحيان حاضرة بإجراءاتها وموقفها، ومحالة التدخل للتخفيف من وقعها على الشرائح السفلى من المجتمع .

خامسًا : تدخلت الدولة لمحاربة وباء الجذام، ومحاولة القضاء عليه، أو على الأقل الحد من خطورته، فقد أنشئت المستشفيات العامة والخاصة لعلاج مرضى الجذام، وخصصت حارات للجذامى لاستقبال المرضى، كما تكفلت بعلاجهم وتغذيتهم ولباسهم وحتى مصاريف فترة النقاهة.

سادسًا : لعب أطباء الأندلس الدور الأعظم في وصف داء الجذام، وطرق مكافحته وعلاجه المختلفة، والتي تبدأ من طرق الوقاية وأسلوب الحياة الأمثل في غذائهم وشربهم ونومهم، ثم وضعوا طرق للعلاج الدوائية والسُمية والغذائية.

الهوامش :

(1)أودغست : تقع مدينه أودغست في شمال غرب أفريقيا بين صحراء لمتونه والسودان، وهي إلى الجنوب من مدينة سجلماسة ومن الغر ب يحدها البحر المحيط أما الجهة الجنوبية والشرقية بلاد السودان. ابن حوقل ، صورة الأرض، دار صادر ، بيروت ، 1938م، ص92 ؛ ياقوت الحموي،معجم البلدان ،ج1، دار صادر ، بيروت ، 1995م ، ص277.

(2)البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب ، دار الكتب الإسلامي ، القاهرة ، (د . ت)، ص 158.

(3)سجلماسة : مدينة في جنوب المغرب في طرف من بلاد السودان في وسط رمل ، أسست في عام (140هـ /757م) على يد عيسى بن مزيد الأسود . القزويني (زكريا بن محمد (ت682هـ / 1283م) : أثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، 1960م ، ص 42.

(4) الإدريسي : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مطبعة ليدن ، 1866م ، ص 61.

(5) المقري : أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، جـ3، تحقيق سعيد أحمد عراب ، عبد السلام الهراس، مطبعة فضالة المحمدية ، الرباط ، 1980م، ص 86.

(6) التادلي : التشوف إلى رجال التصوف ، تحقيق أحمد التوفيق ، منشورات كلية الآداب ، الرباط ، 1997م، ص 6 ، 8.

(7) البكري : المغرب ، ص 148.

(8) مرسية : هي قاعدة تُدمير ، بناها جابر بن مالك بن لبيد بأمر الأمير عبد الرحمن بن عبد الحكم وذلك في الرابع من شهر بيع الأول سنة 216هـ . الحميري : صفة جزيرة الأندلس ، تحقيق ليفي بروفنسال ، (د . ت) ، ص 181.

(9) ابن رشد : فتاوى ابن رشد ، جـ2، تحقيق المختار بن الطاهر التليلي ، دار الغرب الإسلامي ، 1987م ،ص882، 883.

(10) ابن منظور : لسان العرب ، جـ 1 ، دار المعارف ، القاهرة ، 2007م ،ص 189.

(11) ابن زهر : الأغذية ، تحقيق اكييراتيون غارتيا ، مدريد ، 1992م ، ص 143.

(12) ابن خاتمة : تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، ضمن : ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، تحقيق محمد حسن، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، 2013م، ص 162.

(13) ابن الخطيب : بغية المحتاج في المجرب من العلاج ، دار الفكر ، بيروت ، 2001م ، ص 333.

(14) ابن خلدون : المقدمة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د . ت)، ص 282.

(15) ابن خاتمة : المصدر السابق ، ص 162، 163.

(16) الأنطاكي : التذكرة أولي الألباب ، جـ2 ، مخطوط ، دار الكتب المصرية ، ورقة 68.

(17) الأنطاكي : بغية المحتاج في المجرب من العلاج ، مكتبة جزيرة الورد ، المنصورة ، (د. ت) ، ص 387.

(18) ابن زهر : التيسير ، الرباط ، أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ، 1991م، ص 378.

(19) الأنطاكي : بغية المحتاج ، ص 387.

(20) ابن زهر : التيسير ، ص 378.

(21) التادلي : المصدر السابق ، ص 312.
(22) الأنطاكي : بغية المحتاج ، ص 387، ابن الخطيب : الوصول لفظ الصحة في الفصول، القسم الثاني ، تحقيق محمد العربي الخطابي ، (د . ت) ، ص 104.
(23) الأنطاكي : بغية المحتاج ، ص 387.
(24) الأنطاكي : بغية المحتاج ، ص 11.
(25) ابن زهر : الأغذية ، ص 143.
(26) ابن خاتمة : المصدر السابق ، ص 166.
(27)ابن خاتمة : المصدر نفسه ، ص 166- 167.
(28) ابن زهر : الأغذية ، ص 144، 145، التيسير ، ص 453.
(29) البكري : المصدر السابق ، ص 148.
(30) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبد الهادي التازي ، دار المغرب ، 1987م، ص 395.
(31) البكري : المصدر السابق ، ص 55.
(32) القزويني : المصدر السابق ، ص 98 .
(33) الحميري : روض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق ليفي بروفنسال، (د . ت)22، ص 138.
(34) ابن زهر : التيسير ،ص 453.
(35) ابن زهر : الأغذية ، ص 106.
(36) ابن خاتمة : المصدر السابق ،ص 78.
(37) ابن خاتمة : المصدر نفسه، ص 79.
(38) الأنطاكي : بغية المحتاج ،ص 344.
(39) البرزلي : جامع مسائل الأحكام ، جـ6 ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، 2002م ، ص 481.
(40) قسطيلة : من بلاد توزر والحمرة ونفطة ، والمدينة عليها سور مبني بالحجر والطوب ولها جامع محكم البناء ، وأسواق كثيرة وحولها أرباض واسعة ، ولها أربعة أبواب كثيرة النخل والبساتين ، ولها سواد عظيم وهي أكثر بلاد إفريقية تمرًا . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ2 ، ص 58 .
(41) نفطة : مدينة متحضرة عامرة بأهلها ، لها أسواق وتجارات ونخل وغلات ومياه جارية . الإدريسي : وصف المغرب ، ص 29.
(42) البكري : المصدر السابق ،ص 147.
(43) الإدريسي : وصف المغرب ، ص 38.
(44) الإدريسي : المصدر نفسه ، ص 18 .
(45) ابن خاتمة : المصدر السابق ، ص 170.
(46) ابن زهر : التيسير ، ص 453.
(47) ابن زهر : التيسير ، ص 459.
(48) ابن الخطيب : مقنعة السائل في المرض الهائل ،منشورات معهد العلوم العربية الإسلامية ، فرانكفورت ، 1997م ، ص 38.
(49) ابن خاتمة : المصدر السابق ، ص 89.
(50) المازوني : الدرر المكنونة في نوازل مزونة، جـ 1، المكتبة الوطنية ، الجزائر ، ص 263.
(51) المازوني : المصدر نفسه، ص264.
(52) عبد الباسط : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تحقيق بولس راويس ، باريس ، 1894م ، ص 56.

(53) ابن أبي زرع (علي بن أبي زرع الفاسي ت 726هـ / 1325م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1972م،ص 41.
(54) ابن رشد : المصدر السابق ، جـ2 ، ص 883، 884، 885.
(55) قال رسول الله (صل الله عليه وسلم) : لا يورد مُمرض على مُصح فإنه أذى " .مسلم: صحيح مسلم ، الدار الذهبية ، القاهرة ، (د . ت) ، حديث رقم (2221) ، ص 1122.
(56) ابن باجة : أبو بكر محمد بن يحيي بن صائغ التُجيبي المعروف بابن باجة ، من العلماء الذين تمتعوا بشهرة علمية وطبية واسعة في الأندلس (ت 532هـ / 1138م) ، الأفضل في صناعة الطب ، ألف كتاب (المزاج بين ما هو طبي) ،وكتب أخري في الأدوية والعقاقير .ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ت) ، ص 515- 519.
(57) نهاد عباس زينل : الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2013، ص 158.
(58) ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص 519.
(59) ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ص 40، 41، ابن القاضي : جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس،القسم الأول، دار المنصور، الرباط، 1973م ، ص 34.
(60) أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي : ثالث الخلفاء الموحدين تولي الخلافة الموحدية خلفًا لوالده أبو يعقوب يوسف عام (580 - 595هـ / 1184-1199م) .أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، (د . ت) ، ص 167-175.
(61) سلا : مدينة بأقصى المغرب ليس بعدها معمور ، وهي متوسطة بالكبر والصغر موضوعة على زاوية الأرض قد حاذاها البحر والنهر فالبحر شمالها والنهر غربها. ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جـ3، ص 231.
(62) قصر ابن عبد الكريم : هي مدينة قصر صنهاجة، تعرف بقصر عيد الكريم وهو من شيوخ كتامة القاطنين هناك، ترأس عليهم وبنا فيها دارًا سمي بالقصر، لعدم وجود القصور هناك . مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، الدار البيضاء ، 1985م ، ص 189،أبو الفداء : تقويم البلدان ، باريس ، 1850م ، ص 132.
(63) التادلي : المصدر السابق ، ص 312
(64) الناصري : الاستقصاء ، جـ2، ص 198.
(65) المازوني : المصدر السابق ، ص 265.
(66) البيمارستان : كلمة فارسية الأصل مكونة من شقين هما : بيمار وتعنى عليلا وستان وتعنى دار أو مقر للمرضى ، وأول مشفى أنشأت في الإسلام كان عبارة عن خيمة أمر بها الرسول (صل الله عليه وسلم) لرفيدة الأسلمية في غزوة الخندق لإسعاف الجرحى . على بن عبد الله الدفاع : رواد علم الطب في الحضارة العربية الإسلامية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1988م ، ص 80 .
(67) حسن على حسن : الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، 1980م، ص 401.
(68) أحمد عيسى : تاريخ البيمارستان في الإسلام ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ، 1939م، ص 280.
(69) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، 1963م ، ص 411، 412.
(70) المراكشي : المصدر نفسه ، ص 412.
(71) مجهول : الاستبصار، ص 210.
(72) مجهول : الاستبصار ، ص 210.
(73) ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، ص 523.
(74) الونشريسي : المعيار ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1981، جـ7، ص 338.
(75) الناصري : الاستقصاء ، ص 198.

(76) الونشريسي : المصدر نفسه، جـ 9، ص 173.
(77) ابن رشد : المصدر السابق ، جـ1، ص 624.
(78) الونشريسي : المصدر السابق ، جـ7، ص338 ، 339.
(79) الناصري : الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، دار الكتاب ، القاهرة ، (د . ت) ، جـ2 ، ص 198.
(80) ابن أبي زرع : روض القرطاس ،ص 41.
(81) ابن مرزوق : المناقب المرزوقية ، تحقيق سلوى الزهري، المملكة المغربية،(د. ت)، ص 45.
(82) إبراهيم القادري بوتشيش : العامة في مراكش ، ص 131.
(83) حسن علي حسن : المرجع السابق ، ص 402.
(84)عصمت دندش : الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1988م ، ص 415.
(85) نهاد عباس زينل : الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2013، ص 158.
(86) عصمت دندش : المرجع السابق، ص415.
(87) ابن بسام : الذخيرة ، المجلد الأول ، القسم الثاني، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة، بيروت ، 1997م، ص 220.
(88) ابن زهر : التيسير ، ص 38، 198.
(89) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق ، ص 520.
(90) كمال السامرائي : الطب وتأريخه عند العرب ، بغداد،1985م، ص19،18.
(91) ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ،ص 523.
(92) ابن أبي أصيبعة : المصدر نفسه، ص 113.
(93) ابن خاتمة : المصدر السابق ، ص 102.
(94) ابن خاتمة : المصدر نفسه ، ص 102.
(95) ابن خاتمة : نفسه ، ص 102.
(96) ابن زهر : التيسير ،ص 453-454.
(97) ابن خاتمة : المصدر السابق ، ص 102.
(98) ابن خاتمة: المصدر نفسه ، ص 102.
(99) ابن خاتمة : نفسه ، ص 102.
(100) ابن خاتمة : نفسه ، نفس الصفحة .
(101) ابن خاتمة : نفسه ، نفس الصفحة.
(102) سيغريد هونكة : شمس العرب تسطع على أوربا ، ترجمة فاروق بيضون ،كمال دسوقي، دار الجيل ، بيروت ، 1993م ، ص 276.
(103) ابن وافد : الأدوية المفردة ، أسبانيا ، 1995م ، ص 17.
(104) ابن وافد : المصدر نفسه ، ص 17.
(105) ابن زهر : التيسير ، ص 371.
(106) ابن زهر : التيسير ، ص 371.
(107) ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، تحقيق محمود مهدي بدوي، دار الكتب ، 2015م ، جـ2، ص133- 135.
(108) ابن البيطار : المصدر نفسه ، جـ2 ، ص 343.
(109) المصطكي أو المستكة : هي مادة راتنجية يتم الحصول عليها من شجرة المصطكي..www.marefa.org

(110) ابن البيطار : نفسه ، جـ4، ص 383.
(111) ابن البيطار : نفسه ، جـ4، ص 215.
(112) الفصد: شق العرق، فصده يفصده فصدا وفصادا، فهو مفصود وفصيد. وفصد الناقة: شق عرقها ليستخرج دمه فيشربه. وقال الليث: الفصد قطع العروق. تعنى إخراج الدم الفاسد بعد فتح الوريد جراحيًا. ابن منظور : المصدر السابق ، جـ3 ، ص336.
(113) داود الأنطاكي : بغية المحتاج ، ص 388.
(114) داود الأنطاكي : بغية المحتاج ، ص 389.
(115) ابن زهر : التيسير ، ص 279، داود الأنطاكي : بغية المحتاج ، ص 388.
(116) داود الأنطاكي : بغية المحتاج ، ص 389.
(117) البيروني : الصيدلة في الطب ،ص 7 ، 8.
(118)أبو الوليد ابن رشد : رسائل ابن رشد الطبية ، تحقيق جورج شحاتة ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1987م ، ص 403.
(119) الرازي : سر صناعة الطب ، تحقيق خالد حربي ، دار الثقافة العلمية ، الأسكندرية ، (د . ت) ، ص 108.
(120) مجهول : رسالة في الطاعون ، مكتبة الملك سعود ، الرياض ، 1997م ،ص3.
(121) ابن الخطيب : مقنعة السائل ،ص 38.
(122) ابن زهر : التيسير ، ص 453.
(123) ابن زهر : التيسير ، ص371.
(124) ابن البيطار : الجامع لمفردات ،جـ2، ص 276.
(125) ابن البيطار : الجامع لمفردات ، جـ2، ص 276.
(126) ابن زهر : التيسير ، ص 459.
(127) شراب البنفسج : يتكون من نوار البنفسج الأخضر ثم يخمر في ماء ويصفى ويضاف إليه السكر . مجهول : كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية ، المجلد العاشر ، 1962م ، ص 243.
(128) شراب السكنجبين : يتكون من ماء السفرجل وسكر وخل ويضاف إليه ماء ورد أو عسل . مجهول : كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين ، ص 131.
(129) داود الأنطاكي : بغية المحتاج ، ص 389.

قائمة المصادر والمراجع :

أولاً : المصادر :

1- الإدريسي (محمد بن عبد الله بن إدريس ت 548هـ/ 1153م) : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مطبعة ليدن ، 1866م.
2- ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ت).
3- الأنطاكي (الشيخ داود عمر البصير الأنطاكي ت 1008هـ) : التذكرة أولي الألباب ، جـ2 ، مخطوط ، دار الكتب المصرية ، ورقة 68.
- " " : بغية المحتاج في المجرب من العلاج ، مكتبة جزيرة الورد ، المنصورة ، (د. ت)
4- ابن بسام : (أبو الحسن على ت 542هـ / 1147م) : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق 2 ، المجلد الأول ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، 1997م.
5- البرزلي (أبو القاسم بن أحمد البلوي ت 841هـ / 1438م) : جامع مسائل الأحكام ، جـ6 ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، 2002م
6- البكري (عبد الله بن عبد العزيز أبو عبيد ت 487هـ / 1094م) : المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب ، دار الكتب الإسلامي ، القاهرة ، (د . ت).

7- ابن البيطار(أبو محمد عبد الله بن البيطار ت 646هـ / 1248م) : الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، تحقيق محمود مهدي بدوي، دار الكتب ، 2015م.
8- التادلي (أبو يعقوب يوسف بن يحيي ت 617هـ / 1220م) : التشوف إلى رجال التصوف ، تحقيق أحمد التوفيق ، منشورات كلية الآداب ، الرباط ، 1997م
9- الحميري (أب عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري ت 866هـ): صفة جزيرة الأندلس ، تحقيق ليفي بروفنسال ، (د . ت).
10- ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبي ت 380هـ / 990م): صورة الأرض، دار صادر ، بيروت ، 1938م .
11- ابن خاتمة (أحمد بن علي ت 770هـ / 1369م) : تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، ضمن : ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، تحقيق محمد حسن، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، 2013م.
12- ابن الخطيب (لسان الدين بن الخطيب ت 776هـ / 1374م) : مقنعة السائل في المرض الهائل ،منشورات معهد العلوم العربية الإسلامية ، فرانكفورت ، 1997م.
13- ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون ت 806هـ / 1406م) : مقدمة ابن خلدون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د . ت)
14- ابن رشد (أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد ت 520هـ / 1126م) : فتاوى ابن رشد ، جـ2، تحقيق المختار بن الطاهر التليلي ، دار الغرب الإسلامي ، 1987م.
ـ " " : رسائل ابن رشد الطبية ، تحقيق جورج شحاتة ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1987م
15- الرازي (أبو بكر محمد بن يحيي بن زكريا ت 311هـ / 923م) : سر صناعة الطب ، تحقيق خالد حربي ، دار الثقافة العلمية ، الأسكندرية ، (د . ت)
16- ابن زهر (أبو مروان عبد الملك بن زهر ت 557هـ / 1162م) : الأغذية ، تحقيق اكييراتيون غارتيا ، مدريد ، 1992م.
ـ " " : التيسير ، الرباط ، أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ، 1991م
17- ابن صاحب الصلاة (عبد الملك بن محمد ت 594هـ / 1198م) : المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبد الهادي التازي ، دار المغرب ، 1987م.
18- عبد الباسط (زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهري) (844- 920هـ): زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تحقيق بولس راويس ، باريس ، 1894م.
19- عبد الواحد المراكشي : (محمد بن عبد الواحد بن علي ت 647هـ / 1249م) : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، 1963م.
20- أبو الفداء (إسماعيل بن محمد بن عمر ت 732هـ / 1332م) : تقويم البلدان ، باريس ، 1850م.
21- ابن القاضي المكناسي (أحمد بن القاضي المكناسي ت 1025هـ/ 1616م) : جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس،القسم الأول، دار المنصور، الرباط، 1973م
22- القزويني (زكريا بن محمد ت682هـ / 1283م) : أثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، 1960م.
23- المازوني (موسي بن عيسى المغيلي ت 883هـ): الدرر المكنونة في نوازل مزونة، جـ 1، المكتبة الوطنية ، الجزائر، (د . ت).
24- ابن مرزوق (أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني ت781هـ) : المناقب المرزوقية ، تحقيق سلوى الزهري، المملكة المغربية،(د. ت).
25- مجهول : رسالة في الطاعون ، مكتبة الملك سعود ، الرياض ، 1997م.

26- مجهول : كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية ، المجلد العاشر ، 1962م.
27- مسلم (مسلم بن حجاج ت 261هـ /875م): صحيح مسلم ، الدار الذهبية ، القاهرة ، (د . ت).
28- المقري (شهاب الدين أحمد بن محمد المقري ت1041هـ / 1631م) : أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، جـ3، تحقيق سعيد أحمد عراب ، عبد السلام الهراس، مطبعة فضالة المحمدية ، الرباط ، 1980م.
29- ابن منظور (أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي ت 711هـ) : لسان العرب ، جـ 1 ، دار المعارف ، القاهرة ، 2007م.
30- الناصري (أحمد بن خالد الناصري): الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، دار الكتاب ، القاهرة ، (د . ت).
31- ابن وافد (أبو مطرف عبد الرحمن بن محمد ت 466هـ / 1074م) : الأدوية المفردة ، أسبانيا ، 1995م.
32- الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحيي الونشريسي ت 913هـ/1508م) : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1981م.
33 - ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ت 626هـ / 1227م) : معجم البلدان ،ج1، دار صادر ، بيروت ، 1995م.

ثانيًا : المراجع :

1- أحمد عيسى : تاريخ البيمارستان في الإسلام ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ، 1939م.
2- أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، (د . ت).
3- حسن على حسن : الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، 1980م.
4- سيغريد هونكة : شمس العرب تسطع على أوربا ، ترجمة فاروق بيضون ،كمال دسوقي، دار الجيل ، بيروت ، 1993م
5- عصمت دندش : الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1988م
6- على بن عبد الله الدفاع : رواد علم الطب في الحضارة العربية الإسلامية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1988م.
7- كمال السامرائي : الطب وتأريخه عند العرب ، بغداد،1985م
8- نهاد عباس زينل : الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2013م.